قصص الأنبياء

أيوب عليه السلام ويليه يونس عليه السلام

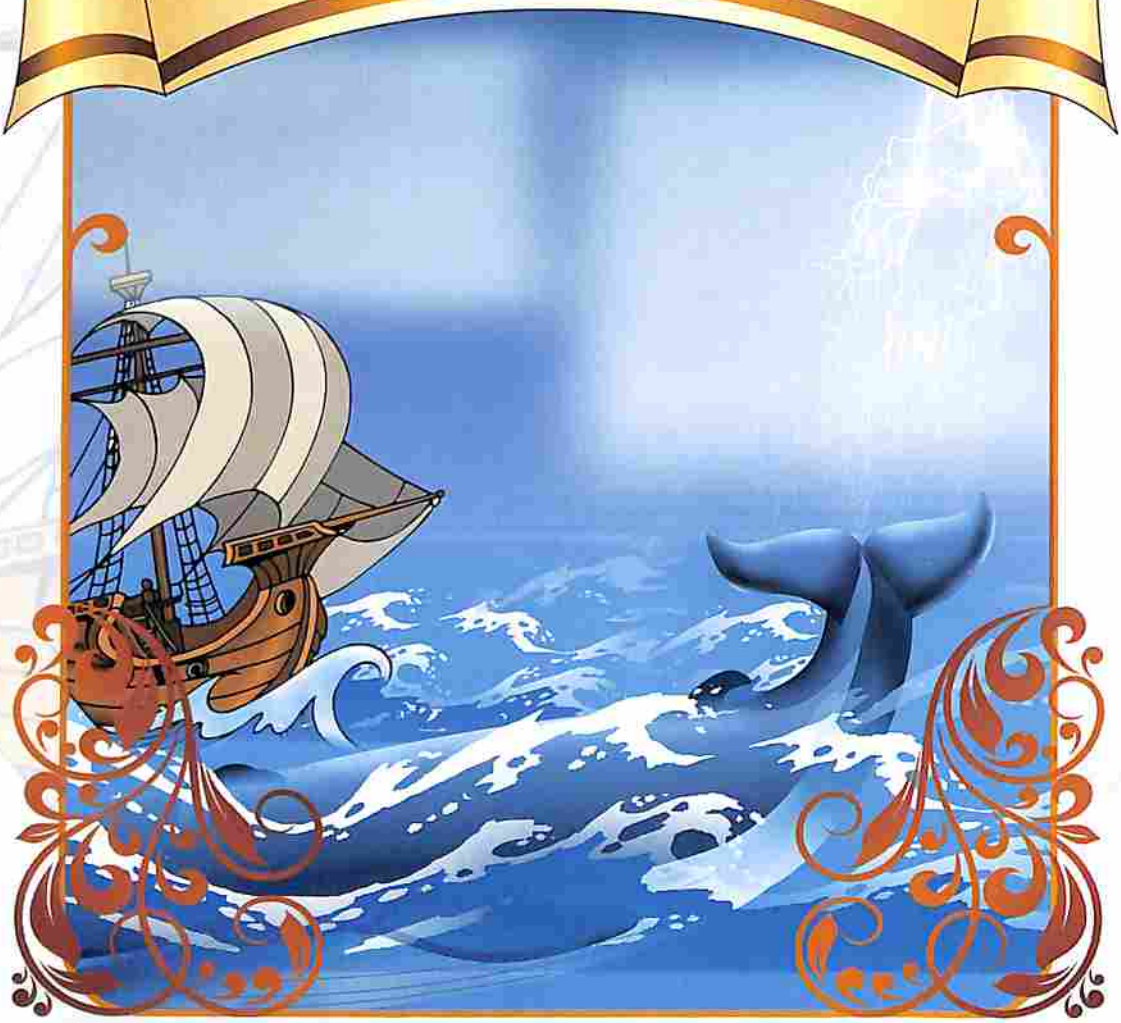

رسوم
عبدالمرضي عبيد

المركز العربي الحديث

أيوب (عليه السلام)

أَحَدُ أَنْبِيَاءِ اللهِ الكِرَام، أَعْطَاهُ اللهُ - عزوجل - أَمْوَالاً كَثِيرَةً مِنَ الذَّهَبِ وَالفِضَّةِ وَغَيْرِ ذَلِكَ، وَأَعْطَاهُ -أَيْضًا- كَثِيرًا مِنَ الدَّوَابِ وَالحَدَائِقِ وَالمَزَارِعِ وَالبَسَاتِينَ و غَيْرِ ذَلِكَ مِمَّا لا يُوصَفُ، وَأَعْطَاهُ أَوْلادًا كَثِيرِينَ، وَزَوْجَةً صَالِحَةً تَقِيَّةً.

لَمْ تُغْرِ هَذِهِ الأَمْوَالُ وَالنِّعَمُ الكَثِيرَةُ أَيُّوبَ (عليه السلام)، بَلْ جَعَلَتْهُ يَزْدَادُ شُكْرًا لِلهِ - عزوجل -، وَيَعْطِفُ عَلَى المَسَاكِينَ، وَيُسَاعِدُ المُحْتَاجِينَ و الفُقَرَاءَ.

وَفِي يَوْمٍ أَرَادَ اللهُ - عزوجل - اخْتِبَارَ أَيُّوبَ، فَأَخَذَ مِنْهُ جَمِيعَ أَمْوَالِهِ وَمَزَارِعِهِ، وَمَاتَ جَمِيعُ أَبْنَائِهِ، وَرَغْمَ كُلِّ هَذَا الابْتِلاءِ ظَلَّ أَيُّوبُ صَابِرًا ذَاكِرًا للهِ - عزوجل -، وَبَعْدَ ذَلِكَ ابْتَلاهُ اللهُ بِالمَرَضِ، فَصَارَ فَقِيرًا بَعْدَ أَنْ كَانَ غَنِيًّا، وَمَرِيضًا بَعْدَ أَنْ كَانَ صَحِيحًا، فَهَجَرَهُ الأَصْحَابُ ، وَلَمْ يَعُدْ أَحَدٌ يَزُورُهُ، وَلَمْ تَبْقَ مَعَهُ سِوَى زَوْجَتِهِ الطَّيِّبَةِ الصَّالِحَةِ ، وَكَانَتْ تَخْدِمُ النَّاسَ بِالأَجْرِ لِتَأْتِيَ لَهُ بِالطَّعَامِ.

وَمَرَّتِ السَّنَوَاتُ وَأَيُّوبُ (عليه السلام) يَزْدَادُ صَبْرًا ، وَفِي يَومٍ قَالَتِ الزَّوْجَةُ لَهُ : لَوْ دَعَوْتَ اللهَ لَفَرَّجَ عَنْكَ هَذَا البَلاءَ ، وَلَعَافَاكَ وَشَفَاكَ. غَضِبَ أَيُّوبُ (عليه السلام) مِنْ هَذَا الكَلام ، وَحَلَفَ لِزَوْجَتِهِ: لَئِنْ شَفَانِيَ اللهُ - عزوجل - لأَضْرُبَنَّكِ مِائَةَ سَوْطٍ، وَذَهَبَتِ الزَّوْجَةُ،

وَأَحسَّتْ بِخَطَئِهَا لأَنَّهَا لَمْ تَصْبِرْ عَلَى ابْتِلاءِ اللهِ ؛ فَتَابَتْ إِلَى اللهِ - عزوجل - وَاسْتَغْفَرَتْهُ.

وَجَاءَ يَوْمٌ أَرَادَتْ فِيهِ الزَّوجَةُ العَمَلَ فِي أَحَدِ البُيُوتِ فَلَمْ يَقْبَلْهَا أَحَدٌ، خوفًا مِنَ انْتِقَالِ مَرَضِ زَوْجِهَا إِلَيْهِم، وَلَمْ تَجِدِ المَالَ اللَّازِمَ لِشِرَاءِ الطَّعَام، فَقَصَّتْ إِحْدَى ضَفَائِرِ شَعْرِهَا، وَبَاعَتْهَا لِبِنْتٍ مِنْ بَنَاتِ الأَغْنِيَاءِ ، وَاشْتَرَتْ طَعَامًا، وَفِي اليَوْمِ التَّالِي حَدَثَ نَفْسُ الشَّيءِ، عِنْدَ ذَلِكَ دَعَا أَيُّوبُ (عليه السلام) رَبَّهُ: {أَنِّي مَسَّنِيَ الضُّرُّ وَأَنْتَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ} [الأنبياء: ٨٣]

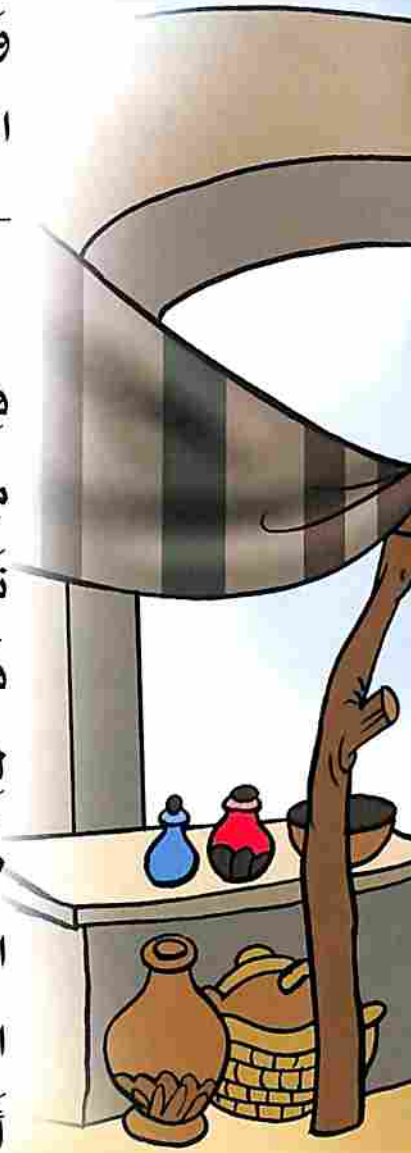

وَاسْتَجَابَ اللهُ دُعاءَ عَبْدِهِ أَيُّوبَ، وَذَاتَ يَوْمٍ أَوْحَى اللهُ لَهُ أَنْ يَضْرِبَ الأَرْضَ الوَاقِفُ عَلَيْهَا، لِتَنْبُعَ مِنْهَا بِقُدْرَةِ اللهِ عَيْنُ مَاءٍ صَافِيَةٌ، فَعَلَيْهِ بِالشُّرْبِ وَالاغْتِسَالِ مِنْ هَذَا المَاءِ.

وَفَعَلَ أَيُّوبُ مَا أَمَرَهُ اللهُ بِهِ؛ فَعَادَ سَلِيمًا كَمَا كَانَ

بِإِذْنِ اللهِ تعالى، وَعَادَ إِلَى بَيْتِهِ، وَبَيْنَمَا هُوَ يَسِيرُ قَابَلَتْهُ زَوْجَتُهُ فَلَمْ تَعْرِفْهُ أَوَّلَ الأَمْرِ حَتَّى حَدَّثَهَا وَدَقَّقَتِ النَّظَرَ فِيهِ؛ فَفَرِحَتْ وَشَكَرَتْ رَبَّهَا.

رَزَقَ اللهُ - عزوجل - أَيُّوبَ مَالاً، وَخَيْرًا كَثِيرًا، وَرَزَقَهُ -أَيْضًا- أَبْنَاءً وَأَهْلاً أَكْثَرَ مِمَّا كَانَ عِنْدَهُ سَابِقًا.

وَأَرَادَ أَيُّوبُ أَنْ يَبَرَّ بِقَسَمِهِ وَيَضْرِبَ زَوْجَتَهُ مِائَةَ سَوْطٍ

كَمَا أَقْسَمَ، فَأَوْحَى اللهُ -عز وجل- لَهُ أَنْ يَأْخُذَ حِزْمَةً فِيهَا مِائَةُ عُودٍ فَيَضْرِبُ زَوْجَتَهُ ضَرْبَةً وَاحِدَةً ، وَعَاشَ أَيُّوبُ بَعْدَ ذَلِكَ مَعَ أَهْلِهِ فِي شُكْرٍ دَائِمٍ وَعِبَادَةٍ لا تَنْقَطِعُ للهِ.

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضى الله عنه عَنْ النَّبِيِّ (صلى الله عليه وسلم) قَالَ: «بَيْنَمَا أَيُّوبُ يَغْتَسِلُ عُرْيَانًا خَرَّ عَلَيْهِ رِجْلُ جَرَادٍ مِنْ ذَهَبٍ فَجَعَلَ يَحْثِي فِي ثَوْبِهِ فَنَادَاهُ رَبُّهُ: يَا أَيُّوب، أَلَمْ أَكُنْ أَغْنَيْتُكَ عَمَّا تَرَى قَالَ بَلَى يَا رَبِّ وَلَكِنْ لَا غِنَى لِي عَنْ بَرَكَتِك» رَوَاهُ البُخَارِي.

ذو الكفل (عليه السلام)

يُقَالُ إِنَّهُ ابْنُ أَيُّوبَ وَاسْمُهُ «بِشْرُ بْنُ أَيُّوب»، أَمَّا «ذُو الكِفْلِ» فَهَذَا لَقَبُهُ، هُوَ أَحَدُ أَنْبِيَاءِ اللهِ الكِرَام؛ وَصَفَهُ اللهُ بِالصَّلاحِ وَالصَّبْرِ، وَكَانَ ذُو الكِفْلِ رَجُلاً عَادِلاً، يَحْكُمُ بَيْنَ النَّاسِ بِالحَقِّ، وَيَنْشُرُ العَدْلَ بَيْنَهُم.

يونس (عليه السلام)

كَانَتْ قَرْيَةُ «نِينَوَى» مِنَ القُرَى الفَاسِدَةِ، وَكَانَ أَهْلُهَا كَثِيرِينَ ، أَكْثَرَ مِنْ مِائَةِ أَلْفِ إِنْسَان، وَقَدْ وَهَبَهُم اللهُ نِعَمًا كَثِيرَةً، وَلَكِنَّهُم تَرَكُوهُ وَعَبَدُوا الأَصْنَامَ، فَأَرسَلَ اللهُ -عز وجل- لَهُم نَبِيًّا مِنهُم ، يَعْبُدُ اللهَ وَيَعْرِفُه، هُوَ يُونُسُ بْنُ مَتَّى (عليه السلام) .

كَانَ يُونُسُ (عليه السلام) عَكْسَ قَوْمِهِ، يَعْبُدُ اللهَ وَيَعْرِفُهُ حَقَّ المَعْرِفَةِ، وَكَانَ مَوْصُوفًا لَدَى قَوْمِهِ بِكُلِّ الصِّفَاتِ الحَسَنَةِ.

ذَهَبَ يُونُس (عليه السلام) إِلَى قَوْمِهِ، وَدَعَاهُم إِلَى تَرْك الأَصْنَامِ وَعِبَادَةِ اللهِ ، فَلَمْ يُؤمِنْ بِهِ أَحَدٌ، وَظَلُّوا عَلَى كُفْرِهِم وَضَلالِهِم، وَاسْتَمَرَّ يُونُسُ يَدْعُوهُم وَهُمْ يُكَذِّبُونَهُ، فَغَضِبَ مِنْهُم، وَقَالَ لَهُم: إِنْ لَم تُؤمِنُوا فَانْتَظِرُوا العَذَابَ بَعْدَ ثَلاثَةِ أَيَّام. وَخَرَجَ يُونُسُ (عليه السلام) مِنْ بَيْنَ قَومِهِ دُونَ أَنْ يَأْمُرَهُ اللهُ بِذَلِكَ.

خَافَ القَوْمُ، وَقَالُوا إِنَّ يُونُس لَمْ يَكْذِبْ قَط، فَلا بُدَّ أَنَّ العَذَابَ سَيَأتِينَا لا مَحالَة، وَبَعْدَ ثَلاثَةِ أيَّام أَرْسَلَ اللهُ عَلَيْهِم دُخانًا أَسْوَدَ، فَعَلِمُوا أَنَّهُ العَذَاب، فَتَابُوا إِلَى اللهِ وَرَجَعُوا إِلَيْهِ وَآمَنُوا بِهِ، وَتَرَكُوا أَصْنَامَهُم ، فَرَفَعَ اللهُ عَنْهُمُ العَذَابَ، وَنَدِمُوا على مَا فَعَلُوهُ مَعَ نَبِيِّهِم يُونُس، وَبَحَثُوا عَنْهُ فَلَمْ يَجِدُوه.

خَرَجَ يُونُسُ (عليه السلام) مِنْ بَيْنِ قَوْمِهِ وَاتَّجَهَ إِلَى البَحْرِ، وَصَعَدَ سَفِينَةً كَانَتْ تَرسُو، وَأَخَذَهُ الرُّكَّابُ مَعَهُم، وَسَارَتِ السَّفِينَةُ، وَدَخَلَ اللَّيْلُ، وَفَجْأَةً هَبَّتْ عَاصِفَةٌ شَدِيدَةٌ، وَاضطَّرَبَتِ السَّفِينَةُ وَمَالَتْ، وَفَزِعَ كُلُّ مَنْ كَانَ فِيهَا، فَأَخَذُوا يَتَشَاوَرُونَ فِيمَا بَيْنَهُم،

وَاتَّفَقُوا على تَخْفِيفِ الأَحْمَالِ، وَإلقَاءِ أَحَدِهِم، وَعَلَى الجَمِيعِ كِتَابَةُ أَسْمَائِهِم حَتَّى تُجرَى القُرْعَة، وَمَن يَخرُجْ اسْمُهُ فَهُو الَّذِي سَيُلْقَى، وَاشْتَرَكَ يُونُس (عليه السلام) مَعَهُم فِي الاقْتِرَاعِ، وَوَقَعَتِ القُرْعَةُ عَلَيْهِ ثَلاثَ مَرَّاتٍ، وَذَلِكَ مِنْ تَقْدِيرِ اللهِ - عز وجل.

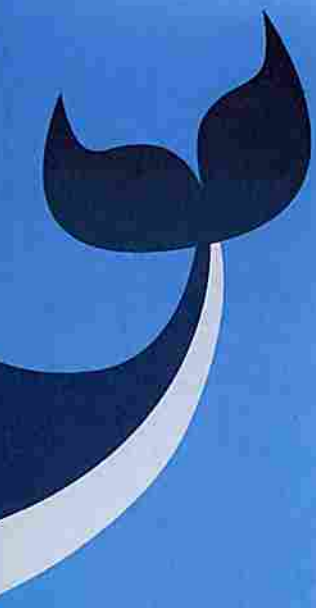

أُلقِيَ يُونُسُ (عليه السلام) فِي البَحْرِ، وَأَمَرَ اللهُ - عز وجل - حُوتًا ضَخْمًا أَنْ يَسِيرَ خَلْفَ السَّفِينَةِ، وَبِسُرْعَةٍ نَفَّذَ الحُوتُ أَمْرَ اللهِ - عزوجل - ، وَأَخَذَ يُونُسَ وَابْتَلَعَهُ وَسَارَ بِهِ.

لَمَّا اسْتَقَرَّ يُونُسُ (عليه السلام) فِي جَوْفِ الحُوتِ أَخَذَ يُسَبِّحُ اللهَ وَيَتُوبُ إِلَيْهِ

وَيُنَادِي اللهَ قَائِلاً : {لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنْتُ مِنَ الظَّالِمِينَ} [الأنبياء: ٨٧]

وَاسْتَجَابَ اللهُ دُعَاءَ يُونُسَ (عليه السلام) ، فَقَبِلَ تَوبَتَهُ، وَنَجَّاهُ مِنَ الغَمِّ وَالكَرْب، وَأَمَرَ الحُوتَ أَن يَسْبَحَ إِلَى الشَّاطِئِ وَيُلقِيَ يُونُسَ عَلَيْه.

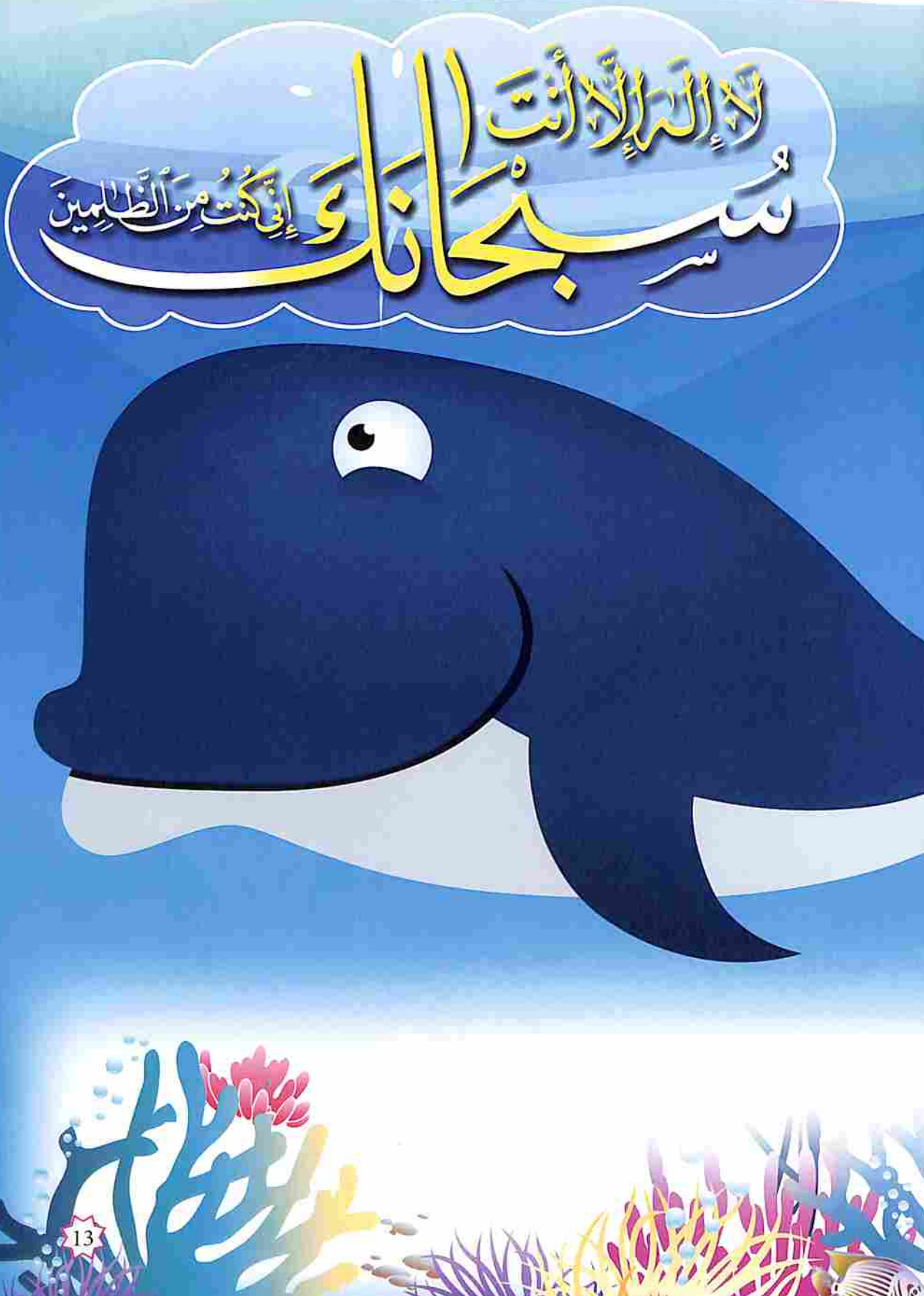
لَا إِلَٰهَ إِلَّا أَنتَ
سُبْحَانَكَ
إِنِّي كُنتُ مِنَ الظَّالِمِينَ

أَنبَتَ اللهُ عَلَى الشَّاطِئِ بِجوَارِ يُونُسَ (عليه السلام) شَجَرَةً مِنْ نَبَاتِ القَرْعِ، لِيَسْتَظِلَّ بِأَوراقِهِ النَّاعِمَةِ وَيَأْكُلَ مِنْهُ حَتَّى يَسْتَرِدَّ صِحَّتَه، وَشَفَى اللهُ يُونُسَ (عليه السلام) وَأَرسَلَهُ إِلَى قَوْمِهِ مَرَّةً أُخْرَى.

سَارَ يُونُسُ (عليه السلام) إِلَى قَومِهِ، وَفِي الطَّرِيقِ قَابَلَ رَجُلاً فَسَأَلَهُ عَنْ أَحْوَالِ البَلْدَةِ.

فَقَالَ الرَّجُلُ، وَكَانَ لا يَعْرِفُه: عِندَمَا خَرَجَ نَبِيُّ اللهُ يُونُسُ مِنَ البَلدَةِ أَرسَلَ اللهُ سَحَابًا عَظِيمًا يَقذِفُ دُخَانًا أَسوَدَ، فَخَافَ النَّاسُ، وَعَلِمُوا أَنَّهُ العَذَابُ؛ فَرَجعُوا إِلَى اللهِ، وَحَطَّمُوا أَصنَامَهُم، وَعَبَدُوا اللهَ وَحدَه، وَتَابُوا إِلَيْهِ، وَدَعَوا اللهَ أَنْ يَرْفَعَ عَنهُم العَذَابَ، فَقَبِلَ اللهُ تَوبَتَهُم وَرَفَعَ عَنهُمُ العَذَابَ.

فَرِحَ يُونُسُ (عليه السلام) بِهَذَا الكَلام وَسَارَ سَرِيعًا نَحْوَ قَومِه، وَعِندَمَا رَآهُ النَّاسُ التَفُّوا حَوْلَهُ وَهُمْ يَبكُونَ وَيَقُولُونَ: يَا نَبِيَّ اللهِ، لَقَد كَذَّبنَاكَ وَآذَينَاكَ، فَادْعُ اللهَ أَنْ يَغْفِرَ لَنَا.

أَجَابَهُم يُونُس (عليه السلام) : أَوَ لَستُم آمَنتُم بِاللهِ؟

قَالُوا جَمِيعًا: نَعَم، آمنَّا بِالله، وَشَهِدْنَا أنَّه لا إلَهَ إلَا الله.

قَالَ يُونُس (عليه السلام): إذَنْ فَأَبشِرُوا بِعَفْوٍ؛ فَإنَّ الإيمَانَ يَمْحُو مَا قَبلَه مِنْ سَيِّئَات، وَعَاشَ يُونُسُ (عليه السلام) مَعَ قَومِهِ يُرْشِدُهُم إلَى الطَّرِيقِ الصَّحِيحِ.

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ عَنْ النَّبِيِّ - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - قَالَ: «لَا يَنْبَغِي لِعَبْدٍ أَنْ يَقُولَ أَنَا خَيْرٌ مِنْ يُونُسَ بْنِ مَتَّى».

المركز العربي الحديث
103شارع الامام على ميدان الاسماعيلية - مصر الجديدة القاهرة - تليفاكس : 26377603
مكتبة قطان
سوريا - حلب - هاتف: 3211096
E-mail:kattan.egypt@hotmail.com